بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

دور ٱلمذهب ٱلمالكيّ في بعض ٱلتَّحَوُّلات ٱلسِّياسِيّة: ٱلصّنهاجيون، ٱلمرابطون

ٱلدّكتور ٱلصّادق الخوني

تمهيد:

لقد كان لعلماء المالكية بإفريقية خاصّة وبالقيروان تحديداً دورهم في ترسيخ المذهب عبر الرّحلة وحلقات العلم والتآليف. ممّا جعل هذه المنطقة تصبح في فترة تاريخيّة نقطة إشعاع وجذب. وقد ضبطت بذلك قمّة المذهب وحافظت عليه.

وكان لعلماء المالكية وجه آخر من الاهتمامات والنشاط، وهو الحركة والتنظيم والمشاركة في صنع الأحداث السياسيّة وتوجيهها.

وقد بدا لي هذا الوجه الأخير من خلال قراءتي وتأملي في تاريخ الدولة الصنهاجية وتاريخ المرابطين، فصحّ مني العزم دراسة ذلك في هذا البحث القصير.

وفيما يلي عناصره:

- المذهب المالكي وحضوره بالمغرب.
- دور المالكية في التحوّل الصنهاجي.
- دور المالكية في حركة المرابطين.
- الخاتمة.

المذهب المالكي وحضوره بالمغرب

أخذ هذا المذهب تسمّيته من اسم مؤسسه مالك بن أنس (93 ـ 179/711 ـ 795) الملقب بإمام دار الهجرة وعالم المدينة[1] وهو أحد الأئمة المجتهدين البارزين الذين بدأوا في الظهور انطلاقاً من القرن 2 هـ/8 م. وكان هدفهم من البحث هو استنباط الأحكام من النصوص ومحاولة فهمها. والسبب فيه هو اختصار هذه النصوص أو غموضها أو لما طرأ على المجتمعات الإسلاميّة الفتيّة من قضايا طارئة تستدعي تقديم الحلول اللازمة، سواء كان ذلك على مستوى العقيدة أو المعاملات أو الأحوال الشخصية أو غيرها.

وقد نسب هذا الفهم للنصوص وإجلاء غموضها وشرح المختصر منها وتقويم ما اعوجّ من تفكير حولها والاجتهاد فيها إلى الذين تصدّوا لذلك، فقيل المذهب المالكي والحنفي والشّافعي، والحنبلي، والزّيدي والجعفري والإباضي وغيره.

اتّفق الإمام مالك في منهجه الاجتهادي مع الأئمة الآخرين في عناصر، وتفرّد عنهم أكثر في استعمال الأثر ومنه استنباط الأحكام من خلال أحاديث صحيحة ومحدودة للرّسول ﷺ. كما أكد على طريقة أخرى في منهجه هو الاعتماد في الفهم والاجتهاد على عمل الصحابة والتابعين وأهل المدينة في عصره لأن هؤلاء حسب رأيه متابعون لمن قبلهم[2].

وقد عرف مذهب مالك من خلال «موطأ مالك» أو «الموطأ» باختصار وهو تأليف ظاهره أحاديث وجوهره أو غرضه استنباط الأحكام من خلال هذه

(1) انظر أخباره في (أبو زهرة/ مالك بن أنس) ـ ابن خلدون/ المقدّمة من 447 إلى 450.

(2) ابن خلدون/ المقدّمة 447 ـ الجرّاري عباس/ وحدة المغرب بالمذهبية ص 29.

الأحاديث الصحيحة المنتقاة[1] وما يكمل صورة المذهب إلى جانب هذا المصدر الأول، هو ما تناقله عن مالك تلاميذه وطلاب العلم الذين شدوا إليه الرّحال.

وأبرز ما سجله هؤلاء في علم إمامهم هو «الأسدية»[2] والمدوّنة أو المختلطة للإمام سحنون بن سعيد التنوخي[3] والعتبيّة بالأندلس[4] ومختصر رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني[5].

ومن أشهر المؤلفات التي نشرت مذهب مالك بعد ابن أبي زيد هي التهذيب في اختصار المدوّنة للبراذعي[6] مختصر الفقه لابن الحاجب[7] المختصر في الفقه وشروحه لخليل[8].

---

(1) يذكر الشيخ الشاذلي النيفر/ موطأ مالك قطعة منه برواية ابن زياد ص 7، أن الموطأ برواية ابن زياد هو أول ما دخل إفريقية (توفي ابن زياد سنة 184/800).

(2) الأسدية: كتاب فقهي نسبة إلى أسد بن الفرات (ت 213/828) وضعه في توضيح مذهبي مالك وأبي حنيفة.

(3) الإمام سحنون من فقهاء المالكية البارزين له كتاب المدوّنة في تصحيح الأسدية، تولى القضاء في العهد الأغلبي (ت 240/854) وسحنون لَقَبٌ أسند إليه باسم طائر شديد لشدّته في المسائل. أمّا اسمه الكامل فهو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي.

(4) هو نسبه إلى محمد بن أحمد العتبي القُرطبي (ت 255/869) من فقهاء المدرسة المالكية بالأندلس.

(5) هو أبو محمد عبدالله الملقب بمالك الصغير وصاحب التآليف الكثيرة في المذهب المالكي «الرسالة» «النوادر والزيادات» «الذب عن مذهب مالك». . .

(6) البراذعي: هو خلف بن أبي القاسم محمد من حفاظ المذهب المالكي ومن أصحاب محمد بن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي له «التهذيب في اختصار المدوّنة» (ت 430/1039).

(7) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر ـ مصري ـ من مؤلفاته «مختصر الفقه» «وجامع الأمهات في فروع الفقه المالكي» (ت 646/1249).

(8) هو خليل بن إسحاق بن موسى: فقيه مالكي من أهل مصر. من تصانيفه «المختصر في فروع الفقه المالكي» «شرح ابن الحاجب» وشرح على المدوّنة لم يكمل. =

وقد تفرّد الإمام مالك إلى جانب علمه بشخصية متميّزة وصلبة في مواقفه. له سيرة محدّدة لا يحيد عنها وهذا بناء على أنها نابعة أو هي امتداد لسيرة الرسول ﷺ والتي ما زالت صورتها في ذاكرة سكان المدينة.

ومكنه طول العمر من مواصلة تطبيق هذه السيرة وغرسها في طلابه. ونقلها هؤلاء بدورهم إلى المناطق التي استقرّوا فيها. وقد اعتبرت هذه السيرة من الشمائل وألزموا أنفسهم العيش على هديها[1].

وقد تعود ظاهرة قوّة الشخصية لدى عدد هامّ من علماء المالكية إلى تأثرهم بمواقفه وتقيدهم الحرفي بسيرته، هذا إلى جانب تشبعهم بعلمه طبعاً.

انتشرت مذاهب الأئمة المذكورين أعلاه في مناطق معيّنة ويعود هذا الانتشار لأسباب تاريخيّة واجتماعية وجغرافيّة. ونما المذهب المالكي واشتدّ عوده ببلاد المغرب والأندلس وفي بعض الجيوب التي حافظ على بعضها وخسر الأخرى.

ولم يتأثر المذهب المالكي في المغرب بِمُزَاحَمَةِ المذاهب الأخرى له بل سلك طريقه بخطى وئيدة ولكنها ثابتة. واستطاع أن يعمّر في هذه المنطقة إلى وقتنا الحاضر. وما زلنا ببلاد المغرب نأخذ أحكامنا الفقهيّة منه بصفة عامّة وما زال أسلوب مالك في حياته يؤثر في سلوكنا إلى يوم الناس هذا، وقد دخل في عاداتنا وتقاليدنا...

لماذا حطّ المذهب المالكي رحاله في هذه البقعة ولم يتزحزح عنها؟

لعلّ السبب في ذلك يعود إلى أن البذرة الأولى التي زرعت في هذه البلاد منذ الفتح الإسلامي وخاصّة منذ عهد القائد عقبة بن نافع[2] كانت بذرة

= (ت 776/1374).

(1) Mones H./ Le makekisme et l'échec des Fatimides en Ifriqiya P. 197 et suivantes.

(2) عقبه بن نافع من فاتحي وولاة المغرب البارزين. استشهد بتهودة ببلاد الجزائر ويعرف موقع دفنه بسيدي عقبة بالجزائر (ت 64/683).

سنيّة[1] وقد حاولت فرق إسلاميّة مثل الخوارج (إباضية وصفرية) والشيعة والمعتزلة وبعض البدع المحلّيّة أن تجد لها مكاناً في هذه الساحة فكان ذلك لبعض الوقت.

أمّا تجذّر المذهب المالكي في هذه البيئة فلعلّه يعود إلى أنّ اتّصال المغاربة عند حجهم كان يتمّ بشكل رئيسي مع الحجاز[2] وفي المدينة عندما يزورون قبر الرسول ﷺ كانوا يجدون الإمام مالك مرابطاً بها لا يغادرها، يعلّم التلاميذ ويقدّم الفتوى لطالبيها وهو في كلّ هذا مقدّم على غيره من العلماء في ذلك، حتى قيل «أيفتى ومالك في المدينة» وقد طال به العمر وهو على سيرته هذه وفي نفس المكان. لذلك ليس غريباً أن لا يجد المغاربة في رحلتهم إلاّ هذا الرجل العالم صاحب الشخصية القويّة فيتأثرون به ويأخذون عنه.

هذا واحد من الاستنتاجات وإن ذهب البعض إلى أنّ من أسباب وجود مذهب مالك في المغرب هو لطبيعة المجتمعين المغربي والحجازي اللذين تجمعهما البداوة[3].

إنّ هذا التعليل لا يمكن أن يكون مطلق الصحة لأن المدينة في هذه الفترة لم تبق على بداوتها كما يُتصوّر. وإن قيل بالمقابل أن المذهب الحنفي هو مذهب الحضر فما منعه من التجذّر في بعض المناطق الحضرية ببلاد المغرب وهي متوفّرة. ثمّ بأيّ شيء نفسّر ضعف المذهب المالكي بالحجاز وترك مكانه للمذهب الحنبلي السائد الآن بالمملكة العربية السعوديّة[4] أمّا ما هو منطقي من الاستنتاجات فإلى جانب ما ذكر آنفاً فهو اعتماد هذا المذهب

---

(1) Mones/Le Malekisme P. 203.

(2) ابن خلدون/ المقدّمة 449.

(3) المصدر السابق.

(4) غراب سعد/ المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي. ملتقى الذاتية العربية بين الوحدة والتنوّع. تاريخ 12 ـ 17 أفريل 1978 ص 245.

على ظاهر النصّ وعلى الأثر ولا يكثر من استعمال الرّأي[1] ويبتعد عن الجدل والتأويل والخوض في قضيتي الظاهر والباطن. وهذا بعيد عن التعقيد وفي مستوى ذهنيّة المغاربة. إلى جانب ما سبق فإنّ شخصيّة مالك جذّابة وقد اتّصف صاحبها بالاستقامة والتقشف والزّهد والصمود والوضوح.

إلى جانب ما ذكر آنفاً فإنّ درجة انتشار فكرة أو عقيدة تعود إلى مدى اقتناع الأشخاص بها ونوعيّة الذين تطوّعوا لنشرها بأسلوب متميّز. كما أنّ الظروف المناسبة ومساعدة أو تبني جهة بيدها القرار قد يساعد على الازدهار والانتشار. إنّ العناصر هذه قد توفرت بالنسبة للمذهب المالكي: فقد وجد التلاميذ أصحاب الشخصيات القويّة، وكما نجح مالك بشخصيته المتميّزة الصامدة في مركز «قيادته» بالمدينة نجحوا هم بالمغرب. وقد هابتهم السلطة القائمة واستشارتهم وأسندت لهم المناصب الهامّة بعد إلحاح منها وتردّد منهم في تحمل المسؤولية ولم تعمل أو لم يقبلوا هم أن تتدخل هذه السلطة في شؤونهم للتأثير على أحكامهم[2].

إنّ شخصيّات مثل البهلول بن راشد (ت 183/799) وأسد بن الفرات (ت 213/828) والإمام سحنون (ت 240/854) وأبي الحسن القابسي (ت 403/1012) وابن عرفة (ت 803/1400) وغيرهم كانوا علماء متضلعين في مذهب مالك وعملوا على نشره بالتعليم والتأليف والفتيا وكانوا إلى جانب ذلك شخصيّات غير عاديّة.

(1) الجراري/ وحدة المغرب المذهبية ص 29.

(2) أسند القضاء للإمام سحنون (ت 240/854) وأسند القضاء وقيادة الجيش المرسل إلى صقلية إلى أسد بن الفرات (ت 214/828) انظر أخبار الرجلين في عياض/ ترتيب 585/2 وما بعدها و 465 وما بعدها.
أبو العرب/ طبقات (تحقيق أبو شنب) من ص 81 إلى 83 ومن 101 إلى 104.

دور المالكية في التحوّل الصنهاجي

انتشر المذهب المالكي بداية من القيروان في أواخر القرن الثاني للهجرة/ نهاية الثامن وبداية التاسع ميلادي في عهد المهلبين[1] وبالتحديد في عهد يزيد بن حاتم[2].

ففي هذه البداية نعثر على ابن فروخ الفارسي (ت 176/792) وعبدالله بن غانم (ت 190/805) والبهلول بن راشد (ت 183/799). ثمّ أخذ المذهب يعمّ المنطقة تدريجيّاً. وقد وجدت إلى جانبه لا محاولة مدارس فكرية تسرّبت إلى المنطقة في القرن 2هـ/ 8م لكنّها لم تستطع أن تتجذر أو تعمّر، لعلّه بسبب تعقيد أطروحاتها أَوْ لِأَنَّ أصحابها طلاب حكم ومناصب أو لعلاقة بعضهم بالتطرّف والعنف اللذين لا ترتاح لهما النفوس.

أمّا المذهب الحنفي الذي هو سنّي بدوره إلاّ أنّ انتشاره كان محدوداً إلى جانب أنّ علماءه لم يكونوا في وزن المالكية وكثيراً ما «احتوتهم» أو «روّضتهم» السلطة السياسيّة، وبالمقابل نجد أنّ علماء المالكيّة حاولوا الاجتهاد في محاكاة سيرة شيخهم في عدم الاقتراب من السلطة إلاّ بالمقدار الذي تحصل منه الفائدة. كما حاولوا الالتحام بالجماهير والتعبير عن طُمُوحَاتِهَا في رفض الظلم وتغييره إن أمكن. وهذا الموقف من السلطة وهذا العمل على تحقيق العدل زادهم شعبيّة وتجذّراً في بلاد المغرب. وقد أصبح لهم نتيجة لذلك تأثير في الحياة السياسيّة والحياة العامّة خلال العهد الأغلبي ولا أدلّ على ذلك من تعيين أسد بن الفرات (ت 213/828) على رأس

(1) هم ثلاثة ولاة مهلبين تولوا الحكم بإفريقية والمغرب من قبل العباسيين: عمر بن حفص بن أبي صفرة ـ يزيد بن حاتم بن أبي صفرة ـ روح بن حاتم بن أبي صفرة، وذلك من 151 إلى 174هـ 768 م ـ 790 م.

(2) تولى يزيد حكم إفريقية من 156 هـ/ 772 م إلى 172/788 وكان من أحسن الأمراء وأشدّهم حزماً.

القضاء وقيادة الجيش الفاتح باتجاه صقلية[1]. كما أسند منصب القضاء والفتيا للإمام سحنون (ت 240/854)[2] وتفسّر هذه الظاهرة بمكانة علماء المالكيّة في الأوساط الشعبيّة وربطهم الجهاد بالعلم وعدم عيشهم في «أبراجهم العاجية» مثلما يفعل بعض المثقفين! . . .

وعندما وصلت الدولة الأغلبية إلى مرحلة سفك الدماء ظلماً وتصفية أفراد العائلة الحاكمة لبعضهم، وانقلبت سيرة الحكام إلى انحراف ومجون في آخر عهدها[3]. عندها أوقف علماء المالكية تأييدهم لها أو جمّدوه أمام الزحف الفاطمي الجارف. وبسلوكهم هذا نراهم يعبّرون على درجة من النضج والتنظيم ويتحرّكون من منظور حزبي وسياسي كما يقال اليوم.

بحيث يعرفون مع من يتحالفون ومتى يوقفون تأييدهم لجهات معيّنة وإلى أيّ حدّ يكون كلّ ذلك. . .

وقد التجأو إلى الصمت أمام الغزو الفاطمي لإفريقية إن لم يرحّب به البعض منهم[4] وإن وقع تأييد لهذا الجديد فلعلّه تمّ بسبب سياسة أبي عبدالله الشيعي[5] التي أعلن فيه خاصّة العودة إلى الطرق الشرعية في جباية الزكاة[6]. أو قد تكون لهم ثقة في إمكانياتهم ورصيدهم الشعبي ممّا يجعلهم يحوّلون

---

(1) أبو العرب/ طبقات (تحقيق أبو شنب) من 81 إلى 83.

(2) المصدر السابق من 101 إلى 104.

(3) Table Med/ L'émirat aghlabide P. 546 et suivantes.

النويري/ نهاية الأرب ج 24/ 143 ـ 145 ـ ابن عداري/ البيان 1/135 و143.

زغلول عبد الحميد/ تاريخ المغرب العربي 2/160 وما بعدها.

(4) القاضي النعمان/ كتاب افتتاح الدّعوة ص 243، 244.

ابن عذاري/ البيان 1/150.

(5) هو الحسن بن محمد بن زكريا: داعية فاطمي، داهية ونشيط له الفضل في وصول الفاطميين إلى الحكم لكنه جوزي من طَرَفِ عبيدالله المهدي بالقتل (297/909).

(6) زغلول عبد الحميد/ تاريخ المغرب العربي ج 2 160 وما بعدها.

المستقبل لصالحهم! وعلى كلّ إنّ موقفهم كان مراقبة الأحداث والانتظار وهذا بالرّغم من معرفتهم للمذهب الجعفري أو الإسماعيلي الذي يأخذ به الفاطميون واختلافه في نقاط عديدة مع المذهب المالكي.

وبعد أن سيطر عبيدالله المهدي[1] على الموقف وتخلّص من بعض المقربين إليه مثل أبي عبدالله الشيعي، اهتمّ بإرساء المذهب الإسماعيلي في البلاد. وقد اعتمد في نفيذ سياسته على موظفين مطيعين مثل القاضي محمد بن عمر المروذي[2] وعامل القيروان حسن بن أبي خنزير[3] بغرض نشر المذهب وملاحقة المعارضين والمخالفين.

وقد ظهر محتوى هذا المذهب مخالفاً للمالكية في نقاط عديدة نذكر منها[4]: الاعتراف بولاية علي بن أبي طالب، سب الشيخين وبعض صحابة الرسول ﷺ اختلاف حول إرث البنت، مسألة الطلاق بالثلاث، الصوم يكون حسب الحساب[5] وليس كما يقتضيه الحديث الشريف: «صوموا لرؤيته...»[6] فرض زكاة خاصّة تدفع من أجل الدعوة الإسماعيليّة، منع

(1) هو أول الخلفاء الفاطميين بالمغرب (ت 323/934).

(2) قتل في بداية القرن 4 هـ من طرف عامل القيروان.

(3) (ت 301/913) ـ انظر عياض/ ترتيب 2/55.

(4) انظر هذه الاختلافات ومعها اضطهاد المعارضين للمذهب الإسماعيلي في الدّباغ/ معالم الإيمان 2/262 وما بعدها ـ عياض/ ترتيب 1/11 وما بعدها. المالكي/ رياض الجزء الثاني بصفة عامة. القاضي النعمان/ كتاب الاقتصار وكتاب دعائم الإيمان (بصفة عامة). ابن حماد/ أخبار ملوك بني عبيد 15، 16. ابن عذاري/ البيان 151، 159، 160.

- Mones H/ Le Malekisme et l'échec des fatimides P. 209 et suivantes

- Brunshoiq: Fikh fatimide P. 20

(5) إنّ استعمال الحساب لتحديد بداية شهر رمضان وعيد الفطر ظهر بوضوح مع الفاطميين في العهد المصري من حكمهم. انظر مثلاً: المقريزي/ اتعاظ الحنفا ـ تحقيق حلمي 2/87.

(6) الحديث هو: صوموا لرؤيته.. البخاري/ الصحيح: كتاب الصوم باب قول =

القيام بصلاة التراويح لأنها ممّا ابتدعه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حسب زعمهم، عدم جواز المسح على الخفّين في الوضوء وبالتالي لا تجوز الصلاة وراء من فعل ذلك، نداء الآذان في صلاة الصبح يتضمّن صيغة «حي على خير العمل» عوضاً عن «الصلاة خير من النوم»، ضرورة الجهر بالبسملة في بداية الفاتحة والسورة عند الصلاة، عدم جواز التأمين (قول آمين) في نهاية الفاتحة لأنها من استعمالات المسيحيين حسب زعمهم، القُنُوتُ بعد الرّكعة الثانية من صلاة الجمعة إلخ. . .[1].

إلى جانب هذه الاختلافات يوجد تقديس الإسماعيلية لإمامهم والقول بعصمته وبتحقيق المعجزات على يديه كما عبّر عن ذلك شاعرهم ابن هانىء (ت 362/937).

فقد شهدت له بالمعجزات كما شهدت لله بالتوحيد والأزل.

فَنتَجَ عَنْ هذا التطبيق التعسفي لمذهب الإسماعيلي تململ المالكية ومعارضتهم لذلك فنالهم الاضطهاد وقُتل عدد من علمائهم وفيما يلي بعضهم:

عروس المؤذن[2] أبو جعفر خيرون (ت 299/901)[3] أبو عبدالله السدري (ت 299/901)[4] إبراهيم بن البرذون (ت 299/901)[5] أبو بكر بن هذيل (ت 299/901)[6]. . . إلخ. . .

وممّا زاد في توتّر العلاقات بين الشعب والفاطميين هو اختراع هؤلاء لضرائب تفننوا في فرضها بطرق تجعل كلّ الأصناف ملزمة بدفعها، وأصبحت

= النبي ﷺ إذ رأيتم الهلال فصوموا.

(1) انظر رأي المالكية في هذه القضايا الفقهية في: أحمد الصاوي/ بلغة السالك لأقرب المسالك ـ شرح النفزاوي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني/ الفواكه الدواني. . .

(2) رياض/ ترتيب 2/152.

(3) المصدر السابق 2/54.

(4) المصدر السابق 2/166.

(5) المصدر السابق 2/47، 48، 49.

(6) المصدر السابق 2/48، 49.

هذه الضرائب مجحفة يصعب تحملها[1]. وما مهد لزيادة التوتر في العلاقات بين الفاطميين والآخرين بصفة عامّة هو أنهم أقاموا دولتهم بالقضاء على التعايش الذي ساد من قبل بين مجموعات ودويلات كانت تسود المنطقة[2]. وقد دفع ذلك المنهزمين إلى الانكماش في انتظار ظروف مناسبة للتعبير عن رفضهم لهذا الأمر الواقع.

كما أنه في عصر ما زال فِيه للقبائل دور تلعبه - بالرّغم من مجيء الإسلام عاملاً على تفتيت العصبيّة القبلّية - نجد أنّ الفاطميين قربوا قبائل برنسية[3]، مثل كتامة ثمّ صنهاجه بعدها وأقصوا وأهملوا قبائل أغلبها من البتر[4] مثل ِناتة التي هي من القبائل التي لها وزنها في المنطقة وعُرفت بحركيّتها. ولا يمكن أن نُهمل من تحليلنا للعلاقات المتوتّرة دور أمويّي الأندلس الذين ما زالوا يعادون الهاشميين، كما أنهم يرغبون في الحصول على نقاط ارتكاز في بلاد المغرب سواء لأغراض اقتصاديّة أو على شكل تحالفات مع القبائل، وكلّ هذا يؤدّي من منظورهم إلى إيجاد المزيد من المشاكل للفاطميين داخل المغرب ومعه عدم استقرار واستمرار حكمهم..!.

وقد عبّرت ثورة صاحب الحمار[5] عن وجود هذا التوتر الذي أشرنا إليه وهددت بشكل جدّي الدولة الفاطمية. وقد انضمّ إليها علماء المالكية

---

(1) Marçais/ La Berberie musulmane et l'orient P. 144.

(2) سالم السيد عبد العزيز/ المغرب الإسلامي 60/2 - لقبال/ دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية 349 وما بعدها.

(3) برنسية: لعلّه نسبة للبرنس الذي تلبسه القبائل الحضرية من الأمازيغ.

(4) بترية: لعلّه نسبة للناس قصير (أبتر) يلبسه الظواعن من الأمازيغ حسب بعض النسابين.

(5) صاحب الحمار: هو مخلد بن كيداد قائد ثورة في العهد الفاطمي كادت تكون سبباً في سقوط الفاطميين. ينتمي إلى الجناح المتطرّف في الإباضية الرستمية. قتل سنة 336/947. وسمّي بصاحب الحمار لأنه كان يركب الحمار في بداية الثورة كدليل على تواضعه ولأنه كان يعرج فلا يستطيع ركوب الخيول.

ومعهم الشعب من أجل المشاركة في انتصارها ولعلّه عمل «تكتيكي» للتخلص أولاً من الفاطميين ثمّ يكون لهم شأن بعدها مع صاحب الحمار وأنصاره من النكارية الذين هم من متطرفي الإباضية[1].

وعندما اكتشف علماء المالكية أثناء هذه الثورة انحراف صاحب الحمار عن الخط الصحيح ومحاولته لدفعهم إلى الخطوط الأمامية بدون حماية من أجل إبادتهم، انسحبوا من الميدان وأوقفوا تأييدهم لهذه الثورة[2]. وقد يكون هذا من بين العوامل التي مهدت للفشل الذي مني به صاحب الحمار.

وبعد هذه الثورة عَادَتْ المالكية للانكماش من جديد لعلّه نوع من الإحساس بالخيبة والإحباط من علمائها بعد هذه المشاركة الفاشلة؟ أو لعلّ هذا التوقف الظاهري هو من نوع البحث عن إعادة التوازن؟... ومهما يكن الحال فإنّهم واصلوا الاحتكاك بالشعب على صعيد العلم والفتوى والتقوى منتظرين مناسبات أخرى للتحرّك. وقد شاركهم في هذه المقاومة السرّية والسلبية عدد من النساك والصلحاء في رباطاتهم الممتدّة على طول السواحل تقريباً[3].

في الأثناء غادر الفاطميون المغرب بعد أن شعروا بصعوبة الانسجام مع السكان، والتجذّر في بيئة «محتكرة» في معظمها من طرف السنة عامّة والمالكية خاصّة، و معها صعوبة السيطرة على القبائل والجماعات المنتشرة على الساحة، هذا إلى جانب إحساسهم بأن مكانهم هو بلاد المشرق الذي سينطلقون في غزوه انطلاقاً من مصر كمرحلة أولى، ولم لا الوصول إلى الحلول محلّ الدولة العباسيّة ببغداد!..

---

(1) النكارية: جناح من متطرفي إباضية تاهرت، أنكروا إمَامَةَ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وتآمروا عليه بسبب عدم تقيده بمبادىء الإباضية حسب زعمهم.

(2) لقبال موسى/ دور كتامة ص 429.

(3) Julien. Ch. Andre/ Hist. de l'Afrique du Nord P.Go.

وقبل مغادرتهم للمنصورية[1] أسند الفاطميون حكم المغرب إلى قبيلة صنهاجة[2] التي كان لها دور في إنقاذهم من خطر ثورة صاحب الحمار ويكون المقابل هو التبعيّة لهم سياسيّاً ومذهبيّاً، ولعلّ هذه القبيلة كانت مالكيّة في مرابعها[3] إلاّ أن بلكين (يوسف بن زيري ت 374/ 984) لم يفصح عن نوع المذهب الذي يريد ممارسة الحكم على ضوئه بعد الفاطميين. كما أن المعزّ لدين الله الفاطمي (ت 365/ 975) الذي نصبه خلفاً له قبل الرّحيل لم يحدّد له نظاماً أو أسلوباً معيناً في الحكم. المهمّ عنده أن يَتْبَعَ الفاطميين ويواليهم.

وبالفعل تَوَاصَلَ المغرب الصنهاجي لمدّة يوالي الفاطميين في مصر: تتلى الخطبة باسمهم، يستشيرهم ويقدّم لهم الهدايا ومعها آيات الطاعة والعرفان. أمّا بالنسبة لزعماء المالكية فإنّهم أحسّوا بعد هذا الرّحيل الفاطمي بأنّ كابوساً قد انقشع عنهم ممّا مكنهم من مواصلة دعوتهم جاهدين أيضاً في الوصول إلى احتلال مواقع داخل البلاط الصنهاجي لمزيد التأثير فيه وانطلاقاً منه باتّجاه الرّعية.

ولعلّ هذا البلاط كان على بيّنة أكثر من غيره حول فقدان أي تعاطف بين الشعب في المغرب والفاطميين. وإن وجد مَنْ «تشرّق» منهم فذلك لمصالح وظيفيّة أو مكاسب ماديّة أو لنزوات وكفى[4].

---

(1) المنصورية أو صبرة مدينة قريبة من القيروان شيّدها المنصور الفاطمي إسماعيل بن القائم بن عبيدالله المهدي (ت 319/ 931) بعد التغلب على ثورة صاحب الحمار.

(2) هناك فرعان لهذه القبيلة الكبيرة: صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب. يذكر البعض أن أصلها من حمير من اليمن. بعض هذه القبيلة ظواعن والبعض الآخر حضر. تمكنت صنهاجة الشمال من تكوين الدولة الصنهاجية (الزيرية) وأسست صنهاجة اللثام بالجنوب دولة المرابطين.

(3) Launois/ Influence des docteurs malekites P. 129.

(4) لقبال موسى/ دور كتامة 423.

Launois/ Influence des docteurs Malekites P. 127 à 150.

وقد بدأ تململ هذا البلاط يظهر ويمهّد لمستقبل القطيعة عندما أعلن خليفة بلكين وهو ابنه المنصور (ت 386/996) عند توليه الحكم بأنه ليس من النوع الذي ينتظر التوجيه من الآخرين. . . لأنه حسب رأيه يحكم بلاده وهي التي ورثها عن أجداده[1].

وفي هذا الوقت وفي القاهرة الفاطمية ظهرت المغالاة في تطبيق المذهب الإسماعيلي وفرضه على الناس وملاحقة من يشك في معارضته لذلك[2].

ولمّا ارتقى الحاكم لدين الله الفاطمي إلى الحكم (ت 411/1020) أصيب بتقلب في مزاجه وأصبح دموياً في سيرته كما أن من حوله ادّعوا ربوبيته وأذاعوا ذلك بين الناس[3]. وقد ازدادت غرابة أطوار الحاكم عندما أخرج الخلافة من ذرّيته خارقاً ما هو متعارف عليه في انتقال الحكم وعيّن ابن عمّه أبو القاسم عبد الرحيم (ت 404/1013) وليّاً للعهد[4].

كما تزامن ما يقع هنا وهناك مع انفصال أحد أفراد العائلة الصنهاجية الحاكمة وهو حماد (ت 419/1029) عم باديس بن المنصور في قلعة بني حمّاد جنوب قسنطينة ببلاد الجزائر، والتي أصبحت مناوئة للصنهاجيين ودخلت في صدام معهم[5]. وقد انتهى الصراع بأن توقف بنو حمّاد عن

---

(1) ابن عذاري/ البيان 1/ 340 ـ عبد الحميد وسعد زغلول/ موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في إفريقية ونقلهم إلى مصر ص 24.

Launois/ Influence des docteurs P. 131.

(2) حسن إبراهيم حسن/ تاريخ الدولة الفاطمية 218 وما بعدها.

(3) أشاع ذلك شخص يدعى الدّرزي وبه سمّي المذهب الدرزي المعروف ببلاد الشام. انظر المقريزي/ اتعاظ الحنفا ـ تحقيق حلمي 2/ 113.

(4) انظر المقريزي/ اتعاظ الحنفا ـ تحقيق حلمي 2/ 87 وما بعدها ـ ابن عذاري/ البيان 1/ 260.

(5) ابن عذاري/ البيان 1/ 262.

Julien: Hist de l'Afrique du Nord- P. 71 et suivantes.

الاعتراف بسلطة الصنهاجيين والفاطميين ووالوا العبّاسيين ورفضوا المذهب الشيعي وعادوا إلى المالكيّة[1].

وفي بغداد عاصمة العبّاسيين وهم كما نعلم على مذهب السنّة، نظّمت حملة في هذه الفترة التي نحن بصدد تحليل أحداثها. كتبت فيها محاضر تشهّر بالفاطميين وتقدح في نسبهم. وقد شارك في ذلك عدد من العلماء مثل الشريف الرّضي (1011/402)[2] وهي تقع في نفس الإطار الذي كتب فيه أبو حامد الغزالي (ت 1126/520) كتابه «المستظهري» أو «فضائح الباطنية» كما نشره الباحث المعاصر عبد الرّحمان بدوي.

كلّ هذا كان يحدث وعلماء المالكيّة لا يتوقّفون عن نشاطهم وإشعاعهم داخل الشعب وقد شجعهم سير الأحداث على ذلك. وقد رأوا أن الظروف أصبحت مواكبة لمحاولة التأثير في العائلة الحاكمة نفسها. ففي بداية القرن 5 هـ/11 م وهي الفترة التي أفرزت علماء مرموقين علماً وقوّة شخصيّة مثل أبي الحسن القابسي (ت 1012/403) وأبي عمران الفاسي (ت 1039/430)، استطاع أحد معاصري العالمين المذكورين وهو أبو الحسن بن أبي الرجال ـ الذي لا نعرف عنه إلّا أنه كان زاهداً ورعاً ـ استطاع أن ينفذ أو «يخترق» البلاط ليصل إلى رتبة معلم ومربّي ولي عهد الصنهاجيين آنذاك وهو: المعزّ بن باريس (1015/406) واستطاع أن يؤثر فيه ويفقهه في المذهب المالكي[3] وقد أعدّه وهيأه بهذه التربية والتوجيه ليقوم بانقلاب على المذهب الإسماعيلي ويرجع المكانة للمالكيّة على المستوى الرّسمي، لأنها بقيت في أوساط الشَعبِ فارضة وجودها ولم تنقطع.

لقد كانت الظروف كما استعرضناها مناسبة لأحداث هذا التغيير وإلى

---

(1) Launois/ Influence des docteurs malekites P. 131.

(2) ابن الأثير/ الكامل 236/9.

Idris Hady Roger/ La Berberie Orientale T.1 P. 172.

(3) ابن عذاري/ البيان 273/1.

جانب كلّ ما سبق تحليله فإنّ الحكام الصنهاجيين - في هذه الفترة بالذّات - أصبحوا كارهين تواصل وصاية الفاطميين عليهم فِي وقت أحسّوا فيه بقوّتهم وبازدهار كبير لبلادهم ممّا يجعلهم يتوقون للمحافظة لأنفسهم على خيرات بلادهم ويرغبون في العيش مستقلّين[1] وهذا في ظرف بدأ فيه الوهن يدبّ في جسم الدولة الفاطمية بمصر ولم يعد يخشى منها ولا ممن يَتَكِىءُ عليها إلى جانب بعد المسافة بين الدولتين.

ولقد أتيحت الفرصة من أجل التعبير عن النقمة عندما كان العاهل الشاب في إحدى جولاته بالمنصورية (407/1017) فكبا به حصانه فاسغاث بالخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وهذا بتَأثِيرٍ من التربية التي تلقّاها من شيخه ابن أبي الرّجال[2].

إنّ ما تلفّظ به المعزّ يعتبر جريمة وخيانة عظمى في عُرْفِ الإسماعيلية! ما الذي جعله يفعل هذا يا ترى؟ قد يكون السبب فيما وقع يعود إلى تأثير تربية معلمه ابن أبي الرّجال والتي أصبحت تحركه بشكل عفوي ولا إرادي وهو الشاب الصغير السنّ؟ ولذلك عندما كان في حرج طلب الغوث ممّن يكنّ لهما التقدير وهما صاحبا الرسول ﷺ المقرّبين وخليفتاه وهما اللذان تسبّهما الشيعة على أساس أنهما أخرجا علياً بن أبي طالب من سباق المرشحين للخلافة... كما قد يكون سلوك المعزّ عبارة عن خطة مدبّرة من محيطه من أجل استفزاز الشيعة والتعرّف على حجم ردّة فعلهم ولتكون منطلقاً بعد ذلك نحو تصفيتهم!.....

وبالفعل عندما وقعت استغاثة الأمير بهذه الصيغة، هبت العامّة والحرس

(1) Marçais/ La Berberie musulmane. P. 177.

(2) أما ما يروى من أنه مرّ بحيّ رأى فيه أقواماً فسأل عنهم أجيب بأن هؤلاء رافضة وأولئك سنّة ثمّ زاد في سؤاله ومن تكون الفرقتان. هو استنتاج غير منطقي لأن المعزّ كان واسع الثقافة فطناً ولا بدّ وأن يكون عارفاً بهذه المسائل.

انظر 134 Idris. H/ La Berberie T1. P. 134.

من ذوي الميول الشيعيّة من أجل تأديب المعزّ. إلاّ أن الحاضرين لهذا الحدث من ذوي الميول المالكية خاصّة والسنية عامّة والناقمين بصفة أعم - وكأنهم كانوا مهيئين لذلك - هبّوا لنجدة الأمير وأبادوا من تعرّض إليه من الحرس وأفراد العامّة.

وقد كانت الحادثة سبباً مباشراً هو بمثابة عود الكبريت (الثقاب) الذي ألقي على كومة تبن مهيأة لأن تلتهمها النار بسهولة... فقد انضمّ الناقمون إلى بعضهم وانتقلوا إلى درب المعلى[1] حيث توجد كثافة شيعيّة فَوَقَعَ الإجهاز عليها أو على عدد هامّ من أفرادها[2] ثمّ انتقلت ملاحقتهم إلى من يريد مغادرة البلاد أو حتى من حاول منهم الالتجاء إلى القصر أو الجامع طلباً للحماية والنجدة[3] وهكذا اقترف الشعب مجزرة ضدّ الشيعة في وقت قصير وتمّ ذلك بتنظيم مسبق أو بعفوية أو بهما معاً... وقد عبرّ من خلالها عمّا يكنّه من حقد دفين ضدّ هذا المذهب الذي فرض عليه ولحقه من جرائه الهوان والاضطهاد.

ولا نستطيع القول بأنّ كلّ من هاجم الشيعة في هذه الفترة كان متمذهباً أو متسيّساً كما نقول اليوم، بل لا بدّ من وجود عدد قد اندسّ بين الصفوف بهدف ممارسة العنف والقيام بالنهب والاصطياد في الماء العكر ولنشر الفوضى أو لحاجة أخرى في نفسه. وهذا الصنف نجده دائماً حاضراً أثناء الاضطرابات في كلّ عصر وفي كلّ مكان.

على كلّ لم يجد هذا الجمع الهائج المائج أمامه سلطة توقفه. يُذكر في هذا الصدد أن والي القيروان ابن الرّشيق في هذه الفترة كان متواطئاً مع الناقمين ولو بصفة غير مباشرة. فَهَذَا الوالي كان مهدّداً بالإقالة من طرف القصر لذلك حرّض أو تغافل عمّا يقع لتنتشر الفوضى وتتوتر العلاقات

(1) درب المعلّي: حي من أحياء القيروانُ كانت أغلبية سكانه من الرّافضة.
(2) النويري/ نهاية الأرب ج 24 ص 201.
(3) ابن أبي دينار/ المؤنس ص 82.

بفاطمي مصر، وعندها يقع الاستنجاد به من أجل العمل على استتباب الأمن وبذلك لا يقع الاستغناء عنه(1).

على كلّ قد يكون الوالي المذكور حاول توظيف ما وقع لخدمة أغراضه لكنّه لم يكن هو مصدر ما وقع.

فما حدث كان تعبيراً عن نقمة كانت نائمة في الصدور أو أرغمت على النوم. ثمّ وجد أصحابها في يوم ما الدّعم الرّسمي وسقوط الحواجز، فانساحوا جارفين أمامهم التفكير الشيعي عائدين إلى ما يرونه مقوّماً لشخصيتهم وهو المذهب المالكي...

وبعد وقوع هذه المذبحة، سارع المعزّ بن باديس إلى الاعتذار لدى الفاطميين في مصر، وقام بمعاقبة بعض من تزعم هذه الانتفاضة(2). لقد كان هذا السلوك من جانب السلطة الصنهاجية مع الشعب ومع الفاطميين هو بمثابة سبر لمدى ردّ فعل هؤلاء..... أو لربح الوقت... أو هي طريقة سياسيّة تتمثل في الضّرب بيد ومدّ الأخرى بعدها لطلب العفو أو لاعتذار في انتظار غد أفضل... إلاّ أنّ هذه البيئة المغربية للعوامل الداخلية والخارجية التي ذكرناها لم تعد تنسجم مع المذهب الشيعي(3).

وبالفعل عادت هذه البيئة بقوّة وبدعم من السلطة إلى السّنة وإلى المذهب المالكي. وإذا كان الإمام سحنون وضّح هذا المذهب ونشره من قبل بفضل تأليفه المدوّنة فإنّ المعـزّ ابن باديس أعطاه نفساً جديداً(4).

---

(1) النويري/ نهاي الأرب 24/201 ـ ابن الأثير/ الكامل 9/294، 295.

Idris Hady/ La Berberie Orientale T1 P. 144.

(2) Launois/ Influence des docteurs malekites P. 135

Idris H./ La Berberie Orientale T1. P. 150.

Idris H./ sur le retour des zirides à l'obédience fatimide P. 27.

(3) Bel/ La religion musulmane T.1 P. 199.

(4) بن أبي الضياف/ إتحاف أهل الزمان 1/138.

Idris/ sur le retour des zirides P. 25 à 39.

وهكذا أصبح المغرب الإسلامي كلّه تقريباً على أثر هذه الحادثة سنياً أو مالكياً[1] وقد ساعد على ذلك، أن الفاطميين في طريقهم من قبل إلى الحكم، أسقطوا أو أضعفوا كلّ المدارس والأفكار الأخرى من إباضية وصفرية ومعتزلة وأحناف وغيرها، وهي التي كانت في الواقع محدودة الانتشار في المكان والزّمان، إلاّ أنه كان لها حضور على كلّ حال.

وقد زاد هذا المذهب دعماً ورسوخاً مجيء المرابطين أو الملثمين إلى الساحة المغربية كما أن الموحدين الذين جاؤوا حاملين لمزيج من الأفكار من أشعرية وشيعية ومعتزلية وغيرها لأسباب سياسيّة[2] كان هواهم الأول هو المذهب المالكي. كما أن هذا الترقيع المذهبي لم يستطع أن يعمّر بعد اختفاء زعيمه الرّوحي ومنظره محمد بن تومرت (ت 524/1130) وعادت الغلبة من جديد للمالكية. وقبل ظهور المرابطين في الجزء الغربي الجنوبي من بلاد المغرب جاءت القبائل العربية مرسلة من طرف الفاطميين بمصر من أجل الانتقام من المعزّ بن باديس بعد اعترافه بالخلافة العباسيّة ببغداد (440/1048)[3]. والمفاجأ والغريب أنّ هذه القبائل كانت مالكية المذهب في مرابعها بصعيد مصر[4]. ولعلّ هذه البقعة ما زالت متأثرة بذلك إلى يوم الناس هذا. وما يدعم هذا الرّأي هو أن هذه القبائل بعد إضعافها للصنهاجيين وتقاسمها لأراضيهم وتعميقها لتعريب وأسلمة البلاد واختلاطها بالسكان لم

---

(1) يلاحظ غراب سعد/ المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي 250 إلى 252. بأن هذه الظاهرة، أي السيطرة الكلية للمذهب المالكي، قد أحدثت جموداً ونفت التنوّع في الإفكار... وهكذا فلأستاذ غراب من خلال هذا التقويم يبدو من دعاة التنوّع والتعدّدية التي تحدث حركيّة وحيوية في الثقافة. أما أغلب من هم على رأس الدول فهم ميّالون إلى وحدة فكرية تبعد كلّ تناقض وتوتر بين عناصر المجتمع...

(2) ابن عاشور الفاضل/ الثقافة الإسلامية بالمغرب بين المرابطين والموحدين ص 749.

(3) المقريزي/ اتعاظ الحنفا ـ تحقيق حلمي 2/214.

(4) غراب سعد/ المذهب المالكي عنصر ائتلاف ص 242.

تأت معها بالمذهب الشيعي أو مذهب آخر غير المنتشر على الساحة الإفريقية المغربية. وقد يكون المذهب لا يهمّ الدولة الفاطمية ولا هذه القبائل، المهمّ بالنسبة لهؤلاء هو الاستقرار، والمهمّ بالنسبة للفاطميين أَنْ يَتَخَلَّصُوا من شغبهم وأن يهتزّ بواسطتهم عرش المعزّ ولو لوقت. ومهما كان الأمر فإنّ هذه القبائل ساعدت بطريقة غير مباشرة المذهب المالكي على الانتشار.

وحتى محاولة المعزّ بن باديس في المهدية وبني حماد في قلعتهم العودة إلى المذهب الشيعي بعد زحف القبائل العربية من أجل كسب ودّ السلطة الفاطمية من جديد، ولاعتقادهم في إمكانية تأثيرها على هذه القبائل من أجل تخفيف الضغط، إنّ كلّ هذا لم يأت بنتيجة في الاتجاهين، كما أنه لم يدخل تغييراً على الخريطة المذهبية التي اتّجهت نحو السنة والمالكية بلا رجعة.

من كتاب Hist. de l'Afrique du nord / Ch. And. Julien P. 83

الجزيرة
طريف
سبتة
طنجة
تنس
وهران
تلمسان
وجدة
سلا
فاس
تازا
مراكش
أغمات
سجلماسة
نفيس
تنمال
درعة
مسيرة المرابطين
الحدود الشرقية لممتلكات المرابطين

اسبانيا

البحر الأبيض المتوسط

المغرب الأقصى

مراكش

الجزائر

ليبيا

مصر

الصحراء

موريطانيا

النيجر

تشاد

السودان

غانا

نهر السنغال

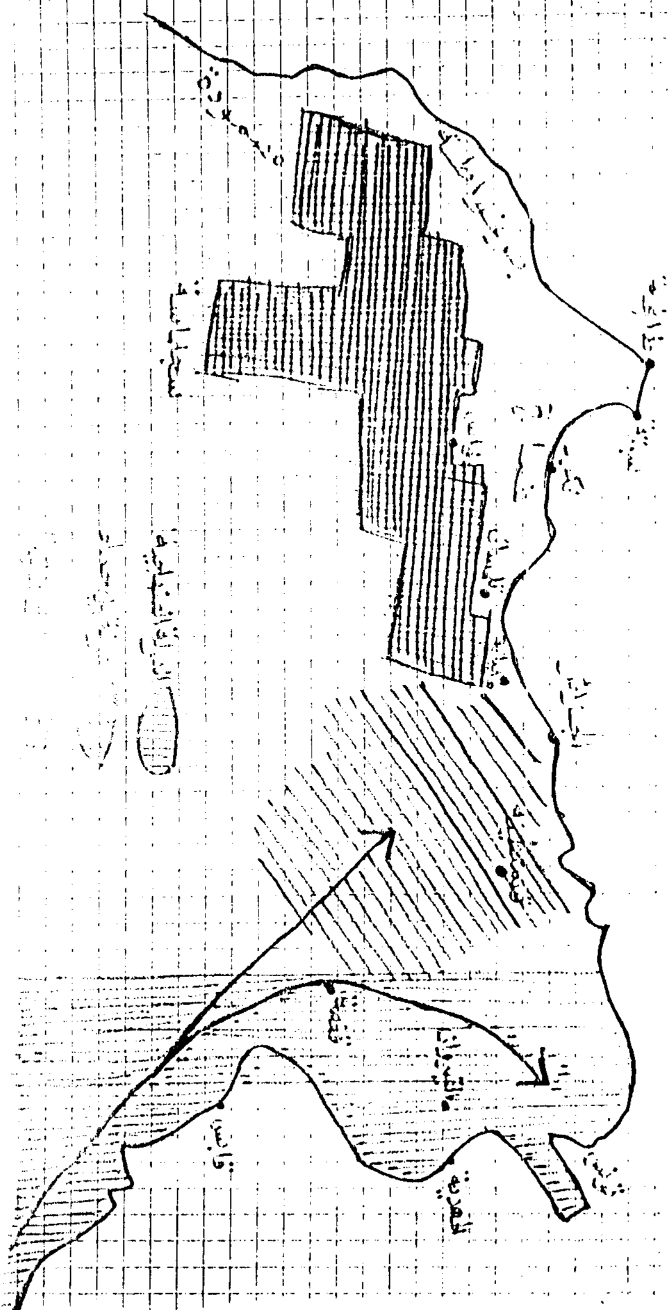
دلتا النيجر

خليج غينيا

نيجيريا

الكمرون

منطقة ما حول نهر
النيجر ونهر السنغال حيث
ظهر المرابطون



دور المالكية في حركة المرابطين

المرابطون من الرّباط وهو عبارة عن معبد وثكنة محصنة يرابط فيها الجيش الإسلامي المواجهة للعدوّ، ويستعمل كذلك للتعبّد ويكون ملجأ لِلأَهَالِي عند توقّع الخطر. والرّباط ظاهرة كثيرة الانتشار في بلاد المغرب. وقد أدّى دوراً هاماً في التقوى والزّهد ونشر الدّين الإسلامي في المنطقة.

أمّا المرابطون في السياق التاريخي فهم مجموعة أفراد من قبيلة صنهاجة اللثام استعملوا رباطاً في بلاد السودان على نهر النيجر في فترة تكوينهم وذلك في النصف الأول من القرن 5هـ/ 11 م[1].

والمرابطون هم في الأصل فروع من قبيلة صنهاجة جنوب المغرب الأقصى ويعرفون بالملثمين لاستعمالهم لثاماً يغطّي الأنف والفم ولا يتخلون عنه[2]. وفروع هذه القبيلة كثيرة لكن أشهرها والتي لعبت دوراً في هذه الحركة التي تهمّنا هي: لمتونه، جداله[3] مسوفة، لمطة. كانت صنهاجة الجنوب ـ لتمييزها عن صنهاجة الشمال التي منها الزيريون الذين خلفوا الفاطميين على رأس المغرب ـ تعيش على طول الصحراء بين بلاد البربر والسودان كما يحدّد ذلك بعض الباحثين[4].

---

(1) انظر على سبيل المثال: اليعقوبي/ البلدان ص 102.
الجيلالي/ تاريخ لجزائر العام 1/403، 404.

Bel: la religion musulmane en Berberie T.1 P. 105, 106

Bousquet: l'Islam maghrebin P. 43.

(2) لعلّ هذا اللثام له علاقة ببعض العادات القديمة لكنه يتماشى من ناحية عملية مع ظروف الصحراء المناخية وما فيها من رمال تذروها الرياح. ولعلّ التوارق الذي ينتشرون جنوب الجزائر وعلى تخوم الصحراء هُمْ امتداد لهؤلاء الملثمين.

(3) ويقال كزاله وجزوله وكداله ـ انظر شعيرة محمد الهادي/ المرابطون: تاريخهم السياسي 28.

(4) القلقشندي/ صبح الأعشى 5/188 ـ ابن خلدون/ العبر 6/181 ـ ابن الخطيب/ =

وتمتدّ المناطق التي تتحرّك عليها صنهاجة الجنوب من المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات حتى الجماهيرية العربية الليبية، ويحدّد البعض شرق هذه المنطقة بالهقار جنوب الجزائر[1].

وتمركزت هذه القبائل التي شاركت في التغيير المرابطي في الصحراء الغربية وشنقيط أو موريتانيا الحالية[2]. قد يكون وجودهم هنا عائداً إلى مغادرتهم لمناطق الشمال تحت ضغط قبائل زناتية[3]، أو لعلّهم فرّوا أمام الفتح الإسلامي أو لغيرها من الأسباب التي يحفّها الغموض... على كلّ نجدهم على أثر الفتح الإسلامي أو أثناءه يختارون العيش في هذا المكان ويتأقلمون معه. عاشوا هنا قبائل رحلاً في شظف مع مواشيهم التي هي مورد رزقهم الرّئيسي. وغداؤهم منها وهو الذي لا يتعدّى اللحم والحليب. أمّا الطحين والعجين فيندر استهلاكهم له، وهم بذلك لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً[4]. وكانوا على اتّصال ببعض التجار المارّين من هناك صحبة قوافلهم القادمة من بلاد الزنوج أو العائدة من المغرب الأقصى. وقد فرضوا عليهم مكوساً مقابل مرورهم عبر الأراضي التي تحت مراقبتهم[5]. وبالرّغم من الظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها فإنّهم يمتازون بالشجاعة والقدرة على

= الحلل ص 7 ـ الناصري/ الاستقصا ص 2 ص 3.

(1) الهقار: هي جبال تقع بالصحراء الجزائرية وتصل أعلى قممها إلى 2918 م يسكنهاالتوارق ـ من مدنها الرئيسية مدينة تامنراست.

انظر شعيرة/ المرابطون 15 ـ ابن منصور/ قبائل المغرب ص 329.

(2) العبّادي أحمد المختار/ تاريخ المغرب والأندلس 288.

Julien/ Hist. de l'Afrique du Nord T2. P. 77.

Terrasse/ Hist. Maroc P. 72.

(3) حسن أحمد محمود/ قيام دولة المرابطين 336.

(4) انظر مثلاً: ابن حوقل/ صورة الأرض 98 ـ ابن أبي زرع/ الأنيس المطرب بروض القرطاس 120 ـ ابن أبي دينار/ المؤنس 104.

(5) دندش عصمت هانم/ دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 29.

Julien Hist de l'Afrique du Nord T.2 P. 79.

تحمّل الصعاب وسرعة الحركة والوفاء بالعهود[1].

بدأ الإسلام يتسرّب أو يتسلل إلى هؤلاء بفضل جهود عقبة بن نافع[2] وعبد الرّحمان بن حبيب والي إفريقية (ت 138/775) والأدارسة[3] إلاّ أن انتشار الإسلام بينهم على نطاق واسع تمّ منذ القرن 3 هـ/ 9 م تقريباً[4]. وبسبب صعوبة العيش فإنّه لم يتسقرّ بين هؤلاء دعاة لتثقيفهم في دينهم لذلك بقي إسلامهم سطحيّاً حيث غابت عنهم أحكام كثيرة منه[5].

وبالرّغم من أميّتهم فقد قاموا بدور هامّ في الجهاد من أجل نشر الإسلام في مناطق بلاد الزنوج مثل السينغال، مالي، النيجر، غينيا[6].

وفي مهمّتهم الجهادية هذه اصطدموا بدولة غانا فكانت الحروب بين الطرفين سجالاً، ولعلّ الغلبة كانت في نهاية الأمر لهؤلاء الملثمين الذين كانوا يتحدون حيناً وينفرط عقدهم حيناً آخر. وانتقلت قيادتهم بين فروع صنهاجة البارزة وخاصة لمتونه وجداله (أو جزوله أو كداله).

كانت قيادتهم في بداية القرن 5 هـ/ 11 م، وهي الفترة التي حدث فيها التغيير الذي يهمّنا عند قبيلة جداله برئاسة يحيى بن إبراهيم الجدالي وعلى يديه كانت بداية التغيير.

وعندما كانت صنهاجة اللثام تستعدّ لهذا التغيير كانت الخريطة السياسيّة للمغرب الإسلامي على النحو التالي. ولا بدّ من فحص لهذه الخريطة كما

---

(1) ح. أحمد محمود/ قيام دولة المرابطين ص 55 ـ شعيرة/ المرابطون 14.
(2) مؤسس القيروان وأبرز قادة الفتح ببلاد المغرب استشهد سنة 64/983 وقبره يوجد بسيدي عقبة بالجمهورية الجزائرية.
(3) نسبة إلى إدريس بن عبدالله من الفرع الحسيني الشيعي، أسسس دولة في فاس استمرّت حتى مجيء الفاطميين.
(4) ح. أحمد محمود/ قيام دولة المرابطين 62 وما بعدها.
(5) دندش عصمت/ دور المرابطين في نشر الإسلام 49.
(6) المرجع السابق من 5 إلى 8.

Mercier/ Notice sur les Almoravides et les Almohades P. 217.

فعلنا من قبل مع أبطال التغيير، بالحديث عن صنهاجة اللثام وظروفها، لأن للأحداث أسباباً تحرّكها ولا شيء ينتج عن لا شيء، كما أنّ الظروف المحيطة بالحدث الذي يدرس لها تأثير على سيره، كما أنّ الملابسات المحيطة بالحدث منها ما هو ذاتي ومنها ما هو خارجي عنها، ما هو قريب ومنها ما هو بعيد.

لو نبدأ بالدوائر البعيدة انطلاقاً من الحكومة الصنهاجية في إفريقية فإنّنا نجدها تعيش تحوّلاً باتّجاه المالكية مع حدوث قطيعة مع المذهب الشيعي في مصر واعترافها بخلافة العبّاسيين ببغداد، وهي على أبواب انتقام من الدولة الفاطمية سيأتيها متجسماً في الغزو الهلالي.

وإلى الغرب منها توجد دولة بني حماد في قلعة بني حماد جنوب قسنطينة بالجزائر والقائمون على شؤونها من بني عمومة الصنهاجيين. وقد أصبحت الدولتان متعاديتين، ووقع الاعتراق أخيراً بواقع التجزىء، هذا التجزؤ الذي أدّى إلى إضعاف الدولتين وسهل مهمّة زحف قبائل بني هلال الذي أصبحت على أثره الدولتان في حالة من الضعف وتحت رحمة هذه القبائل التي أخذت تتوجه باتّجاه الغرب[1].

أمّا المغرب الأقصى وهي المنطقة التي تقع على حدود صنهاجة الجنوب، فإنّنا نجده موزّعاً بين مجموعة من القوى والدويلات[2].

أ ـ دولة غمارة التي أسسها حاميم بن من[3] في بلاد الرّيف[4] وقد

---

(1) Bel/ La religion T.1 P. 214.

(2) العبادي أحمد المختار/ في تاريخ المغرب والأندلس 297.

النجار عبد المجيد/ تجربة التغيير في حركة ابن تومرت 12.

Terrasse/ Hist du Maroc P. 66, 67.

Mercier/ Notice sur les Almoravides P. 218.

(3) صاحب تحريف للإسلام ومزجه بالوثنية المغربية عاش في منطقة بلاد الرّيف بالمغرب الأقصى.

(4) بلاد الريّف هي إغماره في تسميتها القديمة تقع شمال المغرب الأقصى اشتهرت بثورة =

ظهرت في أعقاب ثورات الخوراج الصفرية. وفي أفكار مؤسسها وسلوكه انحراف عن الدّين الإسلامي.

ب - في تامسنا بين الرّباط وأمّ الربيع[1] توجد دولة برغواطه[2] التي مزجت الدّين الإسلامي بالمعتقدات الوثنية السائدة ببلاد المغرب قبل دخول الإسلام إليه. وقد حاربتها الدّول الإسلامية المجاورة كالأدارسة لكن بدون جدوى.

ج - أمّا بقية مناطق المغرب الأقصى فإنّها كانت تحت نفوذ فروع قبيلة زناتة مثل مكناسة ومغراوة وبني يفرن الذين ألفوا دويلات «رديئة لا سياسة ولا دين»[3] حيث تصرّفوا في الرّعايا بمقتضى أغراضهم وشهواتهم. فنال فاس وأعمالها من جور بني عطيّة المغراويين، ونال أهل سجلماسة ودرعة من بني خزرون بن فلفل المغراويين مثل ذلك وأكثر[4].

د - أمّا في تارودانت جنوب غربي مراكش فكانت تعيش جماعة البجلية[5] وهم شيعة ظهروا بقيادة رجل من نفطة بإفريقية يدعون إلى الإثني عشرية أو الفرع الحسني ويحف الغموض معتقداتهم.

= قادها عبد الكريم الخطابي بين 1921 و1926 ضدّ الحضور الفرنسي - الإسباني.

(1) تامسنا: إقليم بالمغرب الأقصى يمتدّ من أمّ الربيع إلى أبي رقراق ومن الأطلس إلى شواطىء البحر المحيط.

أمّ الربيع: وادي بالمغرب الأقصى ينبع من حدود تادلا وناحية فاس ويصبّ قرب أزمور.

(2) أسسها طريف البرغواطي على أثر ثورة ميسرة الصفرية في آخر العهد الأموي وقد وقعت ثورة ميسرة انطلاقاً من المغرب الأقصى.

(3) ابن الأثير/ الكامل 9/622 - ابن منصور/ قبائل المغرب من 119 إلى 122.

Terrasse/ Hist du Maroc P. 66, 67.

(4) الناصري/ الاستقصا 2/12.

(5) نسبة إلى علي بن عبدالله البجلي/ انظر حول هذه الفرقة: البجلية في المغرب الأقصى - نشرية وداد القاضي مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس 1979/ 1399.

هـ ـ إلى جانب هذه الدويلات والجماعات كانت تعيش مجموعات في مناطق منعزلة ببلاد المغرب الأقصى وقد بقي عدد على وثنيته ومن أشهرهم عبدة الكبش[1].

و ـ أمّا بلاد الأندلس فقد كانت منقسمة إلى دويلات وقع الاصطلاح عليها بدول الطوائف. وهذا الانقسام حرّك أطماع الإسبان فبدأوا عملية الانقضاض عليها.

ز ـ أمّا صنهاجة اللثام التي تحدّثنا على ظروفها المعيشية من قبل فهي وإن توجهت للجهاد والدّعوة للإسلام في بلاد السودان إلاّ أنّ معرفتها بالدّين كانت على درجة كبيرة من السطحيّة، فأفرادها ما زالوا يتوارثون بعض ما كان سائداً بينهم في الفترة السابقة للإسلام. فكانوا مثلاً يتزوجون بما لا حصر له من النساء ويمارسون الزّنا ويأخذون بالثأر وغيره دون إحساس بالحرج أو الذّنب. . .

عندما كان المغرب يعيش هذا التمزّق والظروف المتردّية عقدياً واجتماعياً واقتصادياً والتي هي مناسبة لظهور حركات التغيير فيها، كانت قيادة صنهاجة الجنوب وقتها أي بداية 5 هـ/ 11 م بيد يحيى بن إبراهيم الجدالي.

يظهر أنّ هذا القائد امتاز بالمقارنة مع قومه بمعرفة أكثر للدين الإسلامي وبصفات تؤهله للقيادة. ومع ذلك فقد رأى زيارة المراكز العلميّة بالمغرب لزيادة الإحاطة بالدّين أو رأى أداء فريضة الحجّ واكتشاف هذه الناحية أثناء رحلته. . .

الواضح أنه رحل باتّجاه الأراضي المقدّسة (427/1036) وقد اكتشف أثناء الرّحلة البون الشاسع بين معرفة المسلمين لدينهم وجهل قومه لكثير من مبادئه وأحكامه. ولعلّه قلق لذلك وأخذ يفكر في الحلّ المناسب. وقد عثر

---

(1) البكري عبدالله/ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب 161.

عليه عندما مرّ في طريق العودة من القيروان. وهذه كانت تعيش تحوّلاً مالكياً وعصر علماء بارزين. في هذا المذهب. هنا حضر بعض الدّروس التي تلقى على يد هؤلاء العلماء، فأعجب بما رأى وكاشف أحدهم وهو أبو عمران الفاسي الغَفْجومي[1] بهمومه وما عليه قومه من جهل وتأخر[2].

لقد وجد أبو عمران في ذلك فرصة سانحة لتعميق الدّين الإسلامي في نفوس هؤلاء الصحراويين وغرس المذهب المالكي من خلاله.

أرسله إلى أحد تلاميذه الذي نعرف عنه أنه يسمّى وجاج بن زللواللمطي أو هو محمد وكاك بن زللواللمطي كما يسميه آخرون ويعيش في رباط بنفيس بالسوس الأقصى، جنوب مراكش حياة علم وزهد وتعبّد، ولا نعرف في الواقع تفاصيل أخرى عن هذه الشخصية المالكية. أرسله أبو عمران إلى هذا الرّجل الذي لا نعرف الكثير عنه وهذا بعد أن أعياه إقناع تلاميذه في القيروان بمصاحبته بسبب خشيتهم من هؤلاء الصحراويين الصّعبي المراس[3] إلى جانب بعد المسافة.

اختار وجّاج ليحيى أحد مخلصيه الأكفاء وهو عبدالله بن ياسين الجزولي (ت 450/1058) ويظهر أن الرجلين من صنهاجة وهذا من خلال لقبيهما: اللمطي والجزولي أو الجدالي، كما أنهما على السنة ويجمعهما مذهب مالك وهذا بناء على علاقة أبي عمران الفاسي بهما...

وصل يحيى صحبة ابن ياسين إلى قبيلته فاستقبل الضيف بالحرارة التي تستقبل بها عادة القبائل حملة العلم[4] وهذه من شيم البيئة المغربية عامّة. وهي تحلم بالوصول تحت زعامة هذا العالم إلى مركز القيادة في المنطقة.

---

(1) انظر ترجمة الفاسي هذا في القاضي عياض/ ترتيب المدارك 4/702 وما بعدها ـ العبّادي أحمد مختار/ في تاريخ المغرب والأندلس 291.
(2) ابن عذاري/ البيان المغربي 4/ص 7 و8.
(3) ابن الخطيب/ الحلل ص 9.
(4) ابن أبي زرع/ الأنيس المطرب بروض القرطاس 123.

هنا أخذ ابن ياسين في تفقيههم الدّين الإسلامي الصحيح مستعيناً في ذلك بمذهب مالك ولا شك.

طلب منهم الإقلاع عن كلّ ما ليس له علاقة بالإسلام، وَتَشَدَّدَ عليهم في تطبيق ذلك، فكرهوا اتّباعه ونفروه خاصّة بالنسبة لبعض العادات المتأصلة فيهم. وذهبوا إلى حدّ التآمر عليه ومحاولة تصفيته جسدياً[1].

رأى ابن ياسين عندها مواصلة القيام بدوره الدّعوى بين الزنوج وترك هؤلاء وشأنهم ولعلّهم اشتكوه إلى وجّاج من أجل أن يكون أكثر مرونة معهم...

إلّا أنّ الفرع الثاني من صنهاجة الجنوب وهي قبيلة لمتونة كرهت التفريط في هذا العالم والزّعيم ورأتها فرصة مواتية لعودة الزّعامة إليها. لذلك عرض عليه رئيسها يحيى بن عمر الالتجاء إلى داخل جزيرة على نهر النيجر أو نهر السينغال[2] صحبة عدد محدود من المخلصين وذلك من أجل المرابطة والتعبّد والتفقه في الدّين الصحيح بإيحاء من المذهب المالكي ولا شك...[3].

استحسن ابن ياسين هذا الاقتراح وتحول معه صحبة بعض الأفراد إلى هذه البقعة. وهناك كوّنوا رباطاً ساد فيه الانضباط والطاعة للقائد والتطبيق الدّقيق للإسلام. ولعلّه منذ هذا التاريخ أصبح يُسند إليهم لقب المرابطين.

---

(1) ابن عذاري/ البيان 4/ ص 9 ـ ابن الأثير/ الكامل 9/618.

(2) نهر النيجر: من أنهار غرب إفريقيا طوله 4200 كلم يتكون عند مرتفعات لوما، يكوّن قوساً ويصبّ عند خليج غينيا صالح للملاحة ويستعمل في الرّي (انظر الخريطة).
نهر السنغال: نهر يقع غرب إفريقيا طوله 1700 كلم، ينطلق من مالي مكوّناً مجموعة شلالات، يجري في حدود موريتانيا السنغال يصبّ في الأطلس عند سان لويس (انظر الخريطة).

(3) ابن خلدون/ العبر 6/183 ـ حسن إبراهيم/ انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ص 6 ـ الناصري/ الاستقصا 2/ ص 2 إلى 8 ـ
Brignon/ Histoire du Maroc. P. 87

اشتهر ابن ياسين وهذا الرّباط في المنطقة فأخذ الناس في الالتحاق به إلى أن كبر العدد وأصبحت فيه قوّة دينية سلفية متمسكة بمذهب مالك بن أنس ورهن إشارة زعيمها.

عندما شعر ابن ياسين بكفاءة أصحابه وإخلاصهم أرسلهم إلى قبائلهم من أجل دعوتهم للإسلام، وجعلهم يكفّون عن الممارسات التي هي من آثار الوثنية التي كانوا عليها.

بعد قطع هذه المرحلة كان الدّور الموالي هو إعلان الجهاد على المناوئين والذين يرفضون الانضمام إلى هذه الحركة الجديدة. كما وجد ابن ياسين الوقت مناسباً ـ وقد أصبح على درجة من القوّة ـ من أجل دفع جدالة إلى الطاعة بالقوّة وتصفية حساباته معها بسبب تآمرها ضدّه في وقت سابق[1].

وتحوّلت بذلك قيادة الملثمين من جدالة إلى المتونة برئاسة أبي بكر بن عمر ثمّ ابن عمّه يوسف بن تاشفين (ت 500/1106)[2].

وعندما سيطر ابن ياسين على الموقف رأى التوجّه نحو الشمال على رأس أتباعه من المرابطين. وكان ذلك بداية لاكتساح المغرب الأقصى وجزء من بلاد الجزائر والأندلس والقيام بعمليّة تغيير من أجل القضاء على الدويلات القائمة وفرض الإسلام السني على مذهب مالك.

لقد كانت هذه حركة تغيير مغربية بحتة سواء كان ذلك بمنظّريها أم بقيادتها أم بالسواعد التي حاربت من أجل أن يتحقّق النصر. وإن كانت الأفكار أو المذهب المستعمل في عملية التغيير هو مشرقي المنبت. لكن المذاهب كلّها متفرّعة عن الإسلام والإسلام تركة مشتركة بين كلّ المسلمين مشارقة ومغاربة...

---

(1) ابن عذاري/ البيان 4/ ص 9 ـ ح. أحمد محمود/ قيام دولة المرابطين 145.
(2) ابن الخطيب/ الحلل الموشية 14، 15 ـ العبادي أحمد مختار/ في تاريخ المغرب والأندلس ص 293.

ونصل الآن إلى التساؤل لماذا وقع اتّخاذ قرار بالتوجه نحو الشمال وليس نحو الجنوب؟ والحال أنه في هذه المنطقة الأخيرة مَـا زال الزنوج في حاجة إلى الدّعوة وإلى من يفقههم في الدّين؟

للجواب على هذا التساؤل يقدّم المهتمون بتاريخ المرابطين مجموعة افتراضات: المتعارف عليه أنه بعد أن تتوحّد القبائل وراء زعيم فإنّها تريد أن تتحرّك... وهنا وبعد أن حدثت الوحدة أحسّت القبائل بقوّتها فوقع توجيهها صوب الشمال لأن فيه إمكانيات الاستقرار أكثر من الجنوب. إنّ هذا الاستنتاج صادر لا محالة عن الذين يبعدون العامل الدّيني عن الأحداث ويرون أن الحتميّة التاريخية تقتضي هذا النسق... وهي أنّ جماعة توحّدت وأصبحت على درجة من القوّة فإنّها تندفع في مهاجمة غيرها[1].

وإن كان لا يمكن إهمال هذا العامل وغيره من العوامل في عمليات التغيير، فإنّ الدّعوة في الشمال ممكنة أيضاً لوجود محرّفين للإسلام من برغواطيين وبجليين وعبدة الكبش وغيرهم. كما أن الزناتيين الذين يحكمون الشمال كما ذكرنا سابقاً يحتمل أنّهم ضغطوا في وقت سابق على صنهاجة الجنوب ودفعوا أفرادها باتّجاه الصحراء، فلمّا أصبح هؤلاء قوّة فمن حقّهم الثأر ممّن أرغمهم على الهجرة...

إنّنا إذ نحلّل هذه الأحداث أحياناً من منظور قبلي فلأنها كانت سائدة في واقع المنطقة بالرّغم من أن الإسلام جاء ليفتتها ويعوّضها بوحدة الفكرة...

وإنّنا عندما نتأمل أحداث المنطقة نجد توظيف الرّوح القبلية وارداً عند بعض الزّعامات ممّا أحدث بالفعل تنافساً ومدّاً وجزراً دائماً بين المستقرين والرّحل بين البرانس والبتر داخل فروع هذه المجموعات نفسها.

---

(1) Marçais/ La Berberie musulmane P. 237.
Julien/ Hist de l'Afrique du Nord T.2 P. 79.

ولعلّ النداءات التي وصلت إلى المرابطين من علماء سجلماسة[1] للتخلّص من استبداد الحكام الزناتيين كانت فرصة سانحة وشرعية للمرابطين من أجل التقدّم في هذا الاتّجاه.

كما يقدّم البعض عاملاً اقتصادياً وراء اختيار الشمال، وهو ضيق موارد الصحراء بعد أن تضخم عدد أفراد قبيلة صنهاجة الجنوب[2] كما أن المداخيل المتأتية من مرور القوافل التجارية الرّابطة بين الجنوب والشمال قد ضعفت، بسبب فرض الزناتيين الذين يعيشون ظروفاً اقتصادية صعبة لأداءات إضافية على القوافل المارّة من هناك[3] خاصّة وإن استقرار صنهاجة وتأقلمها مع المنطقة يعود جزئياً إلى المداخيل التي يتحصلون عليها مقابل المرور من هذا الطريق. وبالتالي فإنّ هذا التحرّك كان بغرض السيطرة التامّة على الطرق التجارية ومعها الأراضي الخصبة الصالحة للرّعي في الأطلس[4]. ولعلّ ما يدعّم العامل الاقتصادي حسب البعض طبعاً هو أنّ السنة التي أمر فيها المرابطون بمغادرة الصحراء باتّجاه الشمال كانت سنة قحط ومجاعة حسب النويري[5].

ولعلّ ما شجع المرابطين على هذا الاتّجاه هو وجود أقربائهم على رأس حكم الشمال الشرقي من المغرب العربي. كما أنّ ضعف هذه الدولة الصنهاجية والانقسامات الحاصلة فيها وهجوم قبائل بني هلال عليها يشجع ويساعد على نقل مركز القرار والثقل إلى بلاد المغرب الأقصى.

---

(1) سجلماسة: هي واحة تافيلالت جنوب المغرب الأقصى كانت توجد قرب معدن ذهب أسست وازدهرت مع بني مدار 140/757 إلاّ أن بداياتها سابقة على هذا التاريخ.

(2) النويري/ نهاية الأرب 24/ ص 259.

(3) حسن أحمد محمود/ قيام دولة المرابطين من 189 إلى 193.

(4) الأطلس سلسلة جبلية متوازية تبدأ من المحيط الأطلسي وتنتهي بتونس قاطعة بلاد المغرب العربي. والمقصود بالأطلس هنا هو الأطلس الصحراوي أو ما يعبّر عنه بجبال درن بالمغرب الأقصَى.

(5) نهاية الأرب 24/ ص 259 ـ ابن الأثير/ الكامل 621/6.

هذه بعض الافتراضات التي تقدّم كتعليلات لدعوة المرابطين إلى التغيير ولتوجههم نحو الشمال.

إنّ الأحداث وإن كانت تحرّكها عدّة عوامل وتساعدها ظروف قائمة مسّهلة توظف، إلاّ أن بعض العوامل يمكن إعطاؤها الأفضلية على غيرها وهي تختلف من حركة إلى أخرى. أمّا بالنسبة لموضوعنا هذا ومن خلال مراقبة أحداثه يظهر أنّ ابن ياسين من خلال سيرته كان مدفوعاً بأسباب دينيّة، وهو نشر الإسلام الصحيح والقضاء على الانحراف، وترسيخ المذهب المالكي من خلال ذلك. ويظهر هذا العامل الدّيني على مستوى التطبيق في الدعوة للإسلام وتنفيذ مبادئه في الزكاة والخراج والأمر بإسقاط المغارم والمكوس التي كانت سائدة وهي مداخيل ليست إسلامية[1].

كما قام بمساعدة وتشجيع طلبة قبيلة مصمودة[2] على طلب العلم وقدّم لهم مالاً. كما دعا القبائل للإقلاع عن كلّ ما هو غير إسلامي[3].

وقضى على البجلّية في تارودانت[4] والتي هي نحلة شيعية غامضة التفكير كما رأينا[5] وحارب بدعة برغواطة في تامسنا[6] وهنا قُتل ابن ياسين.

وهكذا كان العامل الديني واضحاً في هذه الحركة وهذه البداية. وكان متضمّناً المذهب المالكي بناء على ثقافة منظري ومؤطري هذه الجماعة. وإن وجد المشاركون في التحوّل أنه يخدم مشاربهم وأغراضهم المختلفة فتلك

---

(1) ابن خلدون/ العبر 6/183 ـ ح. أحمد محمود/ قيام دولة المرابطين 106.
Mercier/ Notice sur les Almoravides P. 220.

(2) قبيلة تسكن جبال الأطلس الأعلى بالمغرب الأقصى، ظهر من بينهم محمد بن تومرت قائد الموحّدين.

(3) انظر مثلاً: الناصري/ الاستقصا 2/12 و13.

(4) مدينة هامة خلال العصور الوسطى تقع جنوب مراكش وإلى الشرق من أغادير وهي معبر للقوافل التجارية.

(5) الناصري/ الاستقصا 2/15 ـ ح. أحمد محمود/ قيام دولة المرابطين 211.

(6) الناصري/ الاستقصا 2/19.

حقيقة نجدها في أغلب الحركات، بحيث يوجد عامل هامّ وهو المنطلق ثمّ تنضاف إليه عوامل أخرى اقتصادية وسياسية واجتماعيّة ونفسانية وغيرها. ويمكن أن تتغير العوامل في حركة أخرى بحيث يقدّم الأخير ويؤخر الأول وهكذا. ووجود مجموعة العوامل إلى جانب بعضها تدلّ على أنّ هذا الكائن روح ومادة ولا سبيل إلى التعسّف في فصلهما عن بعضهما أو محاولة فرض عامل وحيد وإقصاء ما عداه. . .

على كلّ بعد هذا الاختفاء المفاجىء لابن ياسين، تواصلت قيادة المرابطين على يد أبي بكر بن عمر لفترة محدودة عاد بعدها إلى الصحراء متنازلاً عن الحكم لابن عمّه يوسف ابن تاشفين. أنهى هذا الأخير عمليّة التحوّل ودخل مرحلة الاستقرار، وعرف المرابطون أوج قوّتهم وتوسعهم في عهده[1].

أسّس ابن تاشفين مدينة مراكش لتكون قاعدة انطلاق جيوشه وعاصمة دولته في المستقبل (1073/462). وواصل فتوحات سابقيه إلى أن وصل إلى المجال الذي لا يمكن تجاوزه وهو جزائر بني مزغنة (1082/475) وتعود حدود فتوحاتهم شرقاً إلى العمل على تجنب الاصطدام ببني عمومتهم في إفريقية وقلعة بني حماد[2] وعدم إهدار طاقتهم في مواجهة القبائل العربية الزّاحفة. كما أنّ نداء استغاثة وصل ابن تاشفين من ملوك الطوائف بالأندلس والذين يتعرّضون إلى هجوم اسباني شرس، وهذا ما جعله يوجّه اهتمامه غرباً. فقاد جيشاً مرابطياً اجتاز به مضيق طارق، وهزم الإسبان وجرّد ملوك الطوائف من حكمهم (1086/479)[3] وأصبحت بذلك ممتلكات المرابطين تمتدّ من جزائر بني مزغنة شرقاً إلى الأندلس غرباً. وسمّي حاكم المرابطين بأمير المسلمين، واعترف بالخلافة العبّاسية السنية في بغداد وبالتبعيّة لها[4].

(1) Julien/ Hist de l'Afrique du Nord T.2 P. 81.

(2) حسن حمدي/ تاريخ المغرب والأندلس فيعصر المرابطين ص 49.

(3) ابن الخطيب/ الحلل الموشية ص 22 وما بعدها.

(4) المصدر السابق ص 16.

وتكوّنت وحدة دينية ومذهبية مالكية في المجال الذي وصلت إليه هذه الفتوحات والجديد الذي بدأ يظهر مع المرابطين هو أنّ المؤثرات الحضارية لم تعد تصل من الشرق بل تحوّلت إلى الغرب أي إلى الأندلس، وأصبح القصر المرابطي قبلة العلماء والشعراء الأندلسيين[1] وهذا بناء على أنّ الحضارة الأندلسية وصلت مرحلة النضج في هذه الفترة وهي متفوّقة على ما يحمله هؤلاء الصحراويون من أنماط معيشية أقرب إلى البداوة. إلاّ أن هؤلاء الصحراويين بالمقابل يتقدون حيوية ونشاطاً وغيرة على دينهم الذي فقهوه ومارسوه حسب مذهب الإمام مالك كما لاحظنا ذلك في فترة التكوين.

ولم يستطع المرابطون بعد تكوين دولتهم ترويض هذا الإرث حسب مقتضيات السياسة إذ يُلاحظ بعد مرحلة التأسيس تواصل تأثير فقهاء المالكية الذين أصبحت لهم الحظوة والتوقير في البلاط المرابطي. فقد أصبحوا مستشارين ومفتين وموجهين للسياسة الدينية والدنيوية أحياناً. وفي هذه الظروف أصبحت مؤلفات مالك بن أنس وتلاميذه ومن جاء بعدهم هي المراجع المعتمدة ولا شيء غيرها. ومقياس المثقف ودرجته هو زاده العلمي من مذهب مالك[2].

ويقوم تقوى وزهد الأمراء المرابطين دليلاً على هذا التأثر الديني والوقوع تحت تأثير علماء المالكية. ولو أخذنا خليفة يوسف بن تاشفين وهو ابنه علي (499 ـ 537/ 1106 ـ 1143) الذي استمرّت فترة حكمه مدّة طويلة كما نرى. فإنّنا نجده حاكماً أقرب إلى النسك والزّهد منه إلى السياسة وتعقيداتها.

وقع هذا الأمير تحت نفوذ فقهاء المالكية، وقد أهمل هؤلاء استنباط الأحكام من أصلي الدّين وهما القرآن والسنة النبوية وتعلّقوا في ذلك

(1) Brignon/ Histoire du Maroc P.93.

(2) ابن الأثير/ الكامل 10/ 417.

بالفروع[1] ومن خلال هذا الابتعاد عن الأصول والتمسك بالفروع بدأ يظهر التجسيم والتحريف والخطأ في فهم مقاصد الإسلام[2] وإلى جانب هذه النقيصة فإنّهم كانوا يتدخلون في شؤون الحكم بالتوجيه والإفتاء وقد يكون ذلك في غير محله بناء على بعدهم عن فهم السياسة. . . وقد شغلهم التكالب على الدّنيا وحسبانهم للعلوم الدّينية مربحة عن الاهتمام بتعميق الإسلام في نفوس مواطنيهم. وضيّق هؤلاء العلماء على الفكر بأن قيّدوه بمذهب مالك وحاربوا ما سواه كعلم الفلك والفلسفة التي اعتبرت بدعة وزندقة[3].

وقد دفع هذا التعصب المالكي وضيق الأفق والصدر من جانب العلماء إلى حرق كتاب «إحياء علوم الدّين للغزالي» بأمر من فقهاء المالكية وبموافقة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين نفسه[4].

ومع علي بن يوسف بن تاشفين هذا استغلت نساء القصر هذا التسبب والإهمال من أجل مزيد التدخل في شؤون البلاط لا بالتوجيه الهادف وإنّما بغرض فرض وجودهنّ وإعادة لعب الدّور الذي كنّ يقمن به في الصحراء قبل

---

(1) المراكشي/ المعجب ص 236 و241 ـ دندش عصمت/ دور المرابطين 139 و140.

(2) يذكر ابن عاشور الفاضل/ الثقافة الإسلامية بالمغرب بين المرابطين والموحدين 741، 742 أن أيمة وعلماء قرطبة كان لهم دور في نشرالتفكير الضيق.

(3) المراكشي/ المعجب 236، 237 ـ النجار عبد المجيد/ تجربة التغيير ص 29.

Encyclopédie de l'Islam: art: Almohades.

(4) وقع هذا الحرق بالفعل سنة 503/1109 بفتوى من قاضي قرطبة أبو عبدالله محمد بن حمدين ـ انظر ابن القطان/ نظم الجمان ص 14.

ويعود هذا الحرق إلى أن الغزالي في كتابه المذكور 1/21 وما بعدها هاجم الفقهاء لاهتمامهم بالفروع وتكالبهم على الدنيا وإهمالهم لأمور الدّين. انظر ملابسان هذا الحرق في مقال غراب سعد/ حول حرق المرابطين لأحياء الغزالي 151 و155 حيث يعلق على ذلك مصيباً الحقيقة بأنه وقع تضخيم عملية الحرق لأغراض سياسية لها علاقة بدعوة ابن تومرت من أجل إضافة مبرّر لإسقاط المرابطين. . .

وانظر هذه المسألة في: بروفنسال ليفي/ الإسلام في المغرب والأندلس ص 252 وما بعدها.

المرابطين إلاّ أنه في هذه المرّة مثّل الميوعة والانحراف.

ولعلّ ما حدث في هذا المجتمع من انحراف هو إفراز للحضارة الأندلسية التي تأثر بها هذا المجتمع القريب عهد ببداوته وحياة الصحراء فاستهوته حتى انغمس في ملذاتها(1).

وقد يكون ذلك كما يذهب إليه ابن خلدون في تحليله لأطوار الدّولة والحضارة أنّ طور الانحدار والسقوط على الأبواب(2).

على كلّ هذه بعض المبرّرات التي أَعْلَنَهَا ابن تومرت ودعا النّاس بسببها إلى تقويض حكم المرابطين، وهذا ما حدث بالفعل على يد الموحّدين.

وهكذا انتهت حركة تغيير رفعت شعار نشر الدّين الإسلامي السني على مذهب مالك. وإن كان هذا المذهب عاملاً إيجابياً في مرحلة التأسيس لهذه الجماعة فإنّه تحوّل إلى عامل سلبي بعد استقرار الدّولة واستغلّ ذلك من طرف الخصوم. لكن هل هذا هو الواقع؟ أم كلمة باطل أريد بها حق من جانب ابن تومرت؟ هذه مسألة تستحقّ نظراً وبحثاً مع حركة الموحّدين. . . .

(1) عبد الحميد سعد زغلول/ محمد بن تومرت ص 10.
بروفنسال/ الإسلام في المغرب والأندلس ص 246 وما بعدها.
علام عبدالله/ الدعوة الموحدية بالمغرب ص 32. إلخ. . .

(2) يقول في المقدمة ص 168 وما بعدها: في أنه إذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدّعة أقبلت الدولة على الهرم.

الخاتمة

كان للمالكية حضور بارز بالمغرب لا يشبهه في شيء ما تحقق للمذاهب الأخرى وقد أدى في النهاية إلى تكوين وحدة مذهبية غالبة في المنطقة. ويعود ما تحقّق هنا إلى شخصيّة مالك بن أنس المتميزة ومعها بعض العناصر المتضمّنة في مذهبه وعلاقة المغاربة بالمدينة المنوّرة إلى جانب أسباب تاريخيّة واجتماعيّة وسياسيّة.

ولقد أنتج هذا المذهب مجموعة علماء مغاربة كانوا على درجة من قوّة الشخصية اهتمّوا بالعلم والتعليم والتأليف والفتيا. ولم يبقوا إلى جانب ذلك مراقبين للأحداث، بل شاركوا أحياناً في صنعها وقيادتها وتوجيهها، على أساس أنّ للسياسة دوراً هامّاً في التأثير على أوجه الحياة الأخرى ومنها إعطاء المذهب الذي يسيرون على هديه في فهم النص الإسلامي المكانة التي يستحقّها.

وقد ظهر هذا الدّور السياسي كما عالجته في هذا الموضوع من خلال التحوّل إلى المالكية في العهد الصنهاجي ومن خلال حركة المرابطين وإن ظهر بدرجات متفاوتة في أحداث أخرى عرفتها المنطقة.

ولقد انطلقت شرارة التغيير هذه من إفريقية ومن القيروان بالتحديد على أساس أنه كان يمثل نقطة ثقل المذهب في هذه البقعة ولأن المؤطريون والدعاة تخرّجوا أو مرّوا من هنا.

والواقع أنّ هذه المشاركة في التغيير اختارت الوقت المناسب ولم

تنطلق من لا شيء وجاءت استجابة لظروف سائدة داخليّة وخارجيّة استطاعت توظيفها أحسن توظيف لتحقيق غاياتها.

والواضح أن الشعار الظاهري الذي رفع لطلب التغيير كان دينياً ومالكياً، لكن هل هذا يعكس حقيقة الأمر؟ أم أنّ هذا الشعار يستهوي قطاعاً كبيراً من الناس. بينما الواقع هو عوامل مختلفة اقتصاديّة واجتماعيّة وسياسيّة دفعت لطلب التغيير وقدم منها ما يجمع حوله عدد كبير من العباد.

على كلّ مهما كان الأمر فإنّه بالنسبة لموضوعنا وغيره من المواضيع لا يمكن أن نحلّل القضايا بالعامل الوحيد وإقصاء عوامل مختلفة أخرى، تدفع النّاس نحو التغيير للأحوال، وتستهوي كلّ واحد من موقعه والظروف التي يعيشها للمشاركة في هذا التحوّل الذي يطمح في أن يجد فيه غده الأفضل.

لقد نجح علماء المالكية من خلال العيّنتين اللتين وقع اختيارهما من التاريخ المغاربي نجاحاً كان باهراً في البداية على مستوى التأطير والدّعوة والتوجيه الإيجابي إلاّ أنه بعد تحقيق غرضهم نراهم يختفون أو يتقلّص دورهم بسبب الأحداث التي عرفتها إفريقية. أو نجدهم ينغمسون في السياسة بعد إرساء دعائم الدولة المرابطية ولعلّهم لم ينجحوا في هذه المرحلة. وكما شاركوا في إقامة هذه الدولة لعلّه كان لهم دور في هدمها. فهل هذا يعني أنّ العلماء وهؤلاء خاصّة غير مهيئين للسياسة ومتاهاتها وهل نستنتج ممّا حدث أنّ دورهم يقتصر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بعيد والتوجيه من وراء الكواليس... هذه مسألة فيها نظر. وعلى كلّ مهما كان من أمر علاقة العلماء بالسياسة فإنّ المذهب المالكي بقي هو سيّد المذاهب في المنطقة.

المصادر والمراجع

ـ ابن الأثير أبو الحسن علي الشيباني/ «الكامل في التاريخ» ـ دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت 1386/1965 ـ 1966.

ـ البخاري أبو عبدالله محمد ت 256/869 ـ «صحيح البخاري» ـ اسطمبول/ تركيا 1401/1981.

ـ بروفنسال ليفي/ «الإسلام في المغرب والأندلس» ـ ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي ـ نشر وزارة التربية والتعليم ـ مصر 1376/1956.

ـ البكري عبدالله أبو عبيد ت 487/1094/ «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب»، وهو جزء من كتاب «المسالك والممالك» تحقيق البارون دوسلان الجزائر ـ يطلب من مكتبة المثنى/ بغداد بدون تاريخ.

ـ الجراري عباس/ «وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ» ـ درس حسني قدم في رمضان 1395/1975 الرّباط ـ الدار البيضاء (المغرب الأقصى) 1396/1976.

ـ حسن أبراهيم حسن/ «تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر»/ طبعة ثانية ـ القاهرة 1378/1958.

ـ حسن إبراهيم حسن/ «انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرق القارة الإفريقية وغربها» جامعة الدّول العربية 1377/1957.

ـ حسن حمدي عبد المنعم محمد/ «تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين» الإسكندرية 1406/1986.

ـ ابن حماد محمد بن علي ت 628/1230 «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم» تحقيق وترجمة فوندر هايدن ـ الجزائر ـ باريس 1346/1927.

- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي/ «صورة الأرض» - بيروت - دار مكتبة الحياة بدون تاريخ.

- ابن الخطيب لسان الدين/ «الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية» مطبعة التقدم - تونس 1332/1913.

- ابن خلدون عبد الرحمن ت 808/1405/ «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات/ بيروت 1391/1971.

- ابن خلدون/ «مقدمة كتاب العبر (المقدمة)» دار الكتاب العربي بيروت - لبنان بدون تاريخ.

- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري ت 696/1296/ «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» أكمله وعلّق عليه أبو الفضل التنوخي - تصحيح وتعليق إبراهيم شبّوح - مكتبة الخانجي مصر 1388/1968.

- دندش عصمت هانم/ «دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا» القاهرة 1395/1975.

- ابن أبي دينار أبو عبدالله محمد الرعيني/ «المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس» المكتبة العتيقة - تونس - الطبعة الثالثة 1387/1958.

- ابن أبي زرع علي الفاسي ت 741/1340/ «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» - دار المنصور للطباعة والورق - الرباط (المغرب) 1392/1972.

- أبو زهرة محمد/ «مالك، عصره، وآراؤه الفقهية» - مكتبة الأنكلو المصرية - القاهرة 1372/1952.

- سالم السيد عبد العزيز/ «المغرب الكبير ج 2 - دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية - دار النهضة العربية - بيروت 1401/1981.

- شعيرة محمد عبد العادي/ «المرابطون، تاريخهم السياسي 430 - 539/ 1038 - 144» مكتبة القاهرة الحديثة 1389/1969.

- ابن أبي الضياف أحمد (عاش في القرن 13هـ/ 19 م بتونس)/ «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» - تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار تونس 1383/1963.

ـ ابن عاشور محمد الفاضل/ «الثقافة الإسلامية بالمغرب بين المرابطين والموحدين» ـ مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ـ دمشق 1389/1969.
ـ العبادي محمد المختار/ «في تاريخ المغرب والأندلس» ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الإسكندرية بدون تاريخ.
ـ عد الحميد سعد زغلول/ «تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال» المعارف ـ الإسكندرية 1398/1978 ـ 1399/1979.
ـ عبد الحميد سعد زغلول/ «فترة حاسمة في تاريخ المغرب» ـ مجلة كلية الآداب والتربية ـ الجامعة الليبية ـ المطبعة الذهلية بنغازي 1378/1958.
ـ عبد الحميد سعد زغلول/ «محمد بن تومرت وحركة التجديد» ـ جامعة بيروت العربية 1393/1973.
ـ ابن عذاري المراكشي/ «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» ـ دارا لثقافة بيروت (لبنان) طبعة ثانية 1400/1980.
ـ أبو العرب محمد بن أحمد التميمي/ «كتاب طبقات علماء إفريقية» ـ نشر محمد ابن أبي شنب ـ الجزائر 1333/1914.
ـ علام عبدالله/ «الدعوة الموحدية بالمغرب» ـ دار المعارف ـ القاهرة (طبعة أولى) 1384/1964.
ـ عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (القاضي عياض) ت 544/1149/ «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» تحقيق أحمد بكير محمود ـ دار مكتبة الحياة . دار مكتبة الفكر. طرابلس 1387/1967.
ـ غراب سعد/ «حول إحراق المرابطين لإحياء الغزالي»/ محاضرة: أعمال الملتقى الرابع الإسلامي العربي. نشر المعهد الإسلامي العربي للثقافة مدريد 1403/1983.
ـ غراب سعد/ «المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي» ـ مقال: ملتقى الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع ـ مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ـ تونس 1398/1978.
ـ الغزالي أبو حامد محمد ت 505/1111/ «فضائح الباطنية (المستظهري)» حقّقه وقدّم له عبد الرحمن بدوي ـ القاهرة 1383/1964.
ـ الغزالي أبو حامد/ «إحياء علوم الدين» ج 1 ـ كتاب العلم ـ دار المعرفة

للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان بدون تاريخ.

ـ ابن القطان (7 هـ/ 13 م)/ جزء من كتاب «نظم الجمان» ـ جامعة محمد الخامس المطبعة المهدية ـ تطوان ـ بدون تاريخ.

ـ القلقشندي أبو العباس ت 821/1418/ «صبح الأعشى في صناعة الانشا» ـ المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ القاهرة 1383/1963.

ـ لقبال موسى/ «المغرب الإسلامي (منذ بدء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم)» طبعة ثانية ـ الجزائر 1401/1981.

ـ لقبال موسى/ «دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية» ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ 1399/1979.

ـ المالكي أبو بكر/ «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» تحقيق بشير البكوش ـ محمد العروسي المطوي ـ دار المغرب الإسلامي بيروت 1403/1983.

ـ محمود أحمد حسين/ «قيام دولة المرابطين» ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1383/1963.

ـ المقريزي تقي الدين أحمد/ «اتعاظ الحنفا بأخبار الأيمة الفاطميين الخلفا» ج 2 تحقيق محمد حلمي أحمد ـ القاهرة 1390/1971.

ـ ابن منصور عبد الوهاب/ «قبائل المغرب» المطبعة الملكية الرباط (المغرب) 1388/1968.

ـ الناصري السلاوي أبو العباس أحمد/ «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري ـ مطبعة دار الكتاب الدار البيضاء (المغرب) 1374/1954.

ـ النجار عبد المجيد/ «تجربة التغيير في حركة المهدي بن تومرت» طبعة أولى تونس 1404/1984.

ـ النعمان القاضي أبو حنيفة بن حيّون المغربي ت 363/1973/ «كتاب افتتاح الدعوة» ـ تحقيق فرحات الدشراوي بالشركة التونسية للتوزيع 1395/1975.

ـ النعمان القاضي أبو حنيفة بن حيّون المغربي/ «كتاب الاقتصار» تحقيق

محمد وحيد ميزار ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية ـ دمشق 1376/1957.
ـ النعمان القاضي أبو حنيفة بن حيّون المغربي/ «دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله ﷺ أفضل السلام» ـ تحقيق آصف بن علي أصغر فيض ـ دار المعارف مصر 1370/1951.
ـ النويري شهاب الدين أحمد عبد الوهاب 733/1332/ «نهاية الأرب في فنون الأدب» ـ تحقيق حسن نصار عبد العزيز الأهواني المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة 1403/1983.

المصادر الأجنبية

-- Bel Alfred: La religion musulmane en Berberie
(Esquisse d'histoire et de sociologie religieurses)
T1: Etablissement et développement de l'Islam en Berberie du VIIe au XXe siècle.

-- Brignon Jean et autres: Histoire du Maroc
Histoire et casablanca 1967.

-- Brunshviq Robert: Fiqh fatimide et histoire de l'Ifriqiya
(Mélange d'hitoire et d'archéologie de l'occident musulman)
T2: Hommage à georges Marçais- Alger 1957.

-- Encyclopédie de l'Islam: Leyden 1934 et Paris 1971
(Ancienne et nouvelle édition)

-- Idris Hady Roger: La Berberie Orientale sous les zirides X-XII siècle- Paris 1962.

-- Idris Hady Roger: Sur le retour des zirides à l'obédience fatimide.
(Annales de l'institut d'études orientales)
TXI-P.P 25 à 39- Alger 1953

-- Julien Charle André: Histoire de l'Afrique du Nord
T2- de laconquête arabe à 1830.
2e édition Payot-Paris 1966 et 1969.

-- Launois Aimée Influence des docteurs malekites sur le moyennage ziride de type sunnite et sur celui des Almoravides Arabica 1964 II-Leiden 1964.

-- Le Tourneau Roger: La révolte d'Abu Yazid au Xe siècle.
Les cahiers de Tunisie 1953

-- Marçais George: La Berberie musulmané et l'orient au moyenage- Paris 1946.

-- Mercier F-: Notice sur les Almohades (Revue Aafricaine 1968-1969) Alger 1968-1969.

-- Mones Hussein: le: Le Malekisme et l'échec des Fatimides (Etudes d'orientalismes dédiées à la mémoire de Levi Provençal)
T1- Paris 1962
-- Talbi Mohamed: L'Emirat aghlabide- 184- 296/800 -- 909 --
Histoire politique: Publication de la faculté des lettres-Tunis
-- Librairie d'Amerique et d'Orient Paris 1966.
-- Terrasse Henri: Histoire du Maroc Casablanca 1959.